ضياء العزاوي: التشكيل يتعدى اللوحة الى الكتاب

شاهد أحد النقّاد معرضه في كاليفورنيا فكتب: الأعداء بيننا

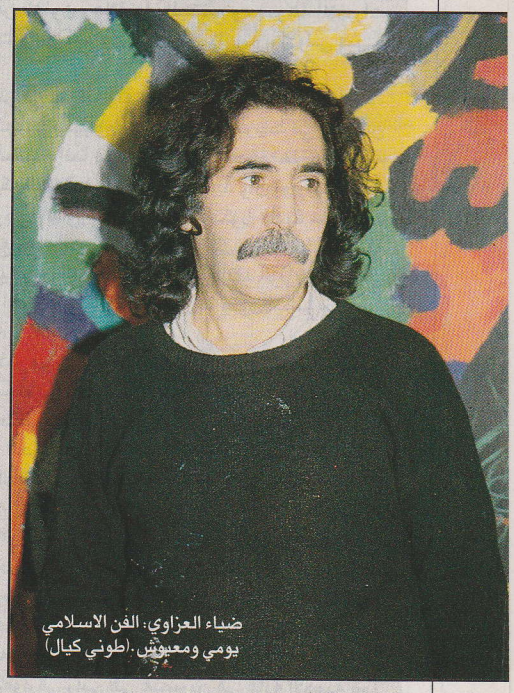
ضياء العزاوي: الفن الاسلامي يومي ومعيوش (طوني كيال)

ضياء العزاوي.
استقبلنا بثياب لطّختها الألوان في محترفه في شيبردز بوش، لندن. في المحترف لوحات كبيرة قوية الألوان تسمع فيها صراخ الفنان وفرحه والذاكرة المعشوشبة لأرض غابت ولم تغب. في اللوحات والأعمال الخشبية زخرفة واضحة، ولكن حرّة، تتداخل فيها الاشكال والألوان التي يحضر فيها الأسود بغزارة لينبعث الضوء أقوى من الأحمر والأبيض، وغيرهما، في تناقضها الزاهي مع الأسود الذي تحوّل أساساً عند ضياء العزاوي: «كأنه حوار بين الظلمة والنور، مهما كان لون الأخير».

تحقيق بقلم مودي بيطار

الطاولة السوداء أمام المقعد تحولت عملاً فنياً تشفق أن تضع عليه كوب القهوة. رسم ضياء العزاوي عليها طيوراً هي عنده السفر والحرية وزهوراً وخطوطاً ملتوية نافرة في حرصه على جعل الفن «استهلاكاً» وإشباعاً يومياً: «هذه من الأشياء التي يجب ان تدخل حياتنا. الفن الاسلامي يومي ومعيوش. المصابيح الدمشقية مثلاً تعتبر آيات فنية في أوروبا. في القرن الثالث عشر كان الكتاب تحفة فنية برسومه وحروفه، والمغربيون اليوم يأكلون من أطباق صنعها فنانوهم الشعبيون لا من الأطباق الصينية الرائجة في كل العالم». من أعماله أبواب ونوافذ قديمة حوّلها لوحات غنية بالألوان والورق المذهّب. وهو يصمم البطاقات ويحب الرسوم على «البارافان»، الحاجز الخشبي في غرف الاستقبال. «الفنان هنا يحب رسم الأقمشة التي تستخدم للأرائك والأثاث، وفنه، كما كتابه، جزء من الحياة اليومية. عندنا يطبع من الكتاب ثلاثة آلاف نسخة، وهذه فضيحة».

لوحات من قصائد

الى معارضه الفردية والجماعية حقق ستة عشر كتاباً عن قصائد من «ألف ليلة وليلة» وبدر شاكر السيّاب وأدونيس ويوسف الخال وعبدالوهاب البياتي ومحمد الفيتوري وفدوى طوقان ونادية تويني وغيرهم.

تبدو أجواء اللوحات التي يرى فيها القصائد على طريقته أكثر شفافية وانسياباً من لوحاته الأخرى. يقول: «لا أفسّر القصيدة في اللوحة بل أصنع اجواء تسير معها. مناخ قصيدة أدونيس هائل. ورسمت نصاً لحليم بركات هو «طائر الحوم» كتبه في واشنطن عن قريته «كفرون» فاختصرت منها الكثير لأنني لا أتقيد بالنص بل بالأجواء التي تبلغني منه. هذا النوع من الأعمال غير موجود عند الفنانين العرب، وربما أوحت به تجربتي الأوروبية». ويذكر بحسرة ان مكتبة الكونغرس الاميركي اشترت كتاباً حققه عن قصائد لفدوى طوقان مقابل «مؤسستين عربيتين فقط اشترتا عملين مشابهين لي. المجلس الوطني للثقافة والفنون في الكويت اشترى كتاباً عن «ألف ليلة وليلة» بواسطة صديق، والمعهد العربي في باريس اشترى نسخة من الكتاب اهداها للرئيس فرنسوا ميتران»

ضياء العزاوي يعيش في لندن منذ ١٩٧٦ «كان لدي تصوّر واضح عما أريد ان أفعله عندما جئت. أحرص دائماً على اقامة معارضي في البلاد العربية والبقاء على اتصال بها. في السنة الماضية أقمت معرضاً في بيروت ووجدتها تغيرت بشكل مخيف، ولكن معافاتها، مع ذلك غير متوافرة في أي بلد عربي آخر. كان الاقبال هائلاً لأن اللبنانيين الذين يتمتعون بثقافة فنية كثر، وهم يشترون اللوحات ويتذوقونها في آن. ثمة من يستطيع شراء المعرض كله من دون ان تكون له معرفة بالفن».

عن الاختلاف بين الفنانين العرب والغربيين يقول ان الاخيرين «يعملون أيضاً في التصميم الداخلي ويتعاونون مع الكتّاب على انتاج كتب تتحوّل أعمالاً فنية وتدخل البيوت، لأن الناس هنا تقبل الفن وتُقبل على اقتناء اللوحات بمختلف الأحجام. إلا أن الفنانين الاوروبيين يحاولون ترويج الحرف العربي بالقول انه وحده يمثل التراث والحضارة الاسلامية».

صعوبات الغربة

وعن الصعوبات التي يواجهها الفنانون العرب: «في أوروبا أنت عربي تعمل في مجال يضبطه اليهود الذين لا يحب كثيرون منهم التعامل مع العرب. أحدهم قال ان ليس لديه زبائن عرب، كأنني أرسم لهم فقط. التصنيف يحاصرنا، ونحن لا نعطى فرصة كالآخرين بسبب هويتنا فقط».

لا يذكر متى بدأ الرسم وبمن تأثر: «كان عمي الضابط في الجيش يرسم، لكن يبدو ان الرسم كان من مواد الدراسة العسكرية في أنقرة حيث تخصص. والمشاكل مع أهلي كانت مستمرة لأنهم فضّلوا ان اهتم بالدراسة وحدها. أمي كانت أقل حدّة في موقفها وحاولت ان تقنع أبي بقبول الأمر الواقع. «يريد أن يرسم، أتركه. على الأقل، يلزم البيت اذا شغله الرسم». لكن والدي بقي يستغرب، حتى مرحلة متأخرة، مجيء الراغبين في شراء لوحاتي الى البيت ويحاول أن يقنعهم بالعدول عن رأيهم اذ «كيف يدفع شخص هذا المبلغ ليشتري شيئاً من هذا القبيل؟» التغيّر المهم في الطفولة حدث في المرحلة الاعدادية، اذ كانت المدرسة مزودة بمرسم، ومعلم الرسم درسَه مهنياً. شجعني على الرسم خارج الصف فازداد حبي له، واخترت الآثار دراسة جامعية لأنها أقرب الى الرسم منها الى التاريخ. ودرست الرسم في معهد الفنون ليلاً في الوقت نفسه».

بدأ بنقل الصور عن المجلات ولا سيما الأوروبية منها، وعندما تعرّف الى اعمال الفنانين العراقيين أعجب بصناعة اللوحة الأوروبية الطابع عند فائق سليم، والبحث عن أسلوب خاص عند كاظم حيدر ومحاولة استخدام الموروث الحضاري العراقي، الشعبي والإسلامي، لدى جواد سليم. بعد زمن صرت أقرب الى الأخير لجدية تجربته التراثية، علماً أننا نفتقر الى الموروث في الرسم لأنه ارتبط بصناعة الكتب».

اختيار يوسف الخال

أول معرض أقامه كان في بغداد في ١٩٦٥. رأى الشاعر يوسف الخال أعماله وأقنعه بإقامة معرض في بيروت. «كان الفن العراقي مغلقاً داخل بلده كأن الجيل السابق كان مكتفياً ذاتياً. ارسلت لوحاتي الى بيروت فعرضت في «غاليري واحد» في ١٩٦٦ لكنني لم أستطع الذهاب لأنني كنت أؤدي الخدمة العسكرية وأرسلت الى الشمال لقتال الأكراد. ومن عناوين الصحف البيروتية وقتها: «ضابط عراقي يعرض لوحاته في بيروت ويقاتل في شمال العراق». بعدها أقمت معارض عدة في العاصمة اللبنانية وتعرفت فيها الى الاختلاف والتميز في الدين والثقافة وقبول ذلك. لكن ثمة ما يجمع الفنانين والذوّاقين في كل مكان،

والأثاث والأقمشة

فاللوحات المستوحاة من ملحمة قلقامش مثلاً تفهمها كل المجتمعات.

شعر بالسعادة بعد اقامة أول معرض لكنه لمس صعوبة العمل: «الفنان العربي لا يستطيع التفرّغ لفنه ما عدا المغربي الذي ينتشر التفرغ عنده، وتسعون في المئة من الفنانين يمارسون التعليم. لكن الوظيفة صعبة، وأذكر انني عملت في المتحف العراقي وكنت أهرب من الدوام ما استطعت ذلك. احببت إقامة معارض للآثار وأشرفت مرة على نقل الثور المجنح الآشوري. كان ضخماً مكوّناً من اجزاء عدة فأخذ الاخصائيون يفكّونه لتوضيبه ونقله، وحدث أن كان صحافي حاضراً فكتب مقالاً يهاجمنا لأننا نحطّم الآثار!»

وعلى رغم ان «الرسم صار عملاً الا ان المتعة التي يوفّرها بقيت نفسها، وان كنت أحس بعد كل عمل ان ثمة ما لم أقله وان التجربة ناقصة لارتباطها بمعرفتي».

الرسم لغة أخرى، وأهمية الفنان تعتمد على جودة انتاجه وبحثه عن الجديد. وإذا كان الحرف عنده يتغيّر ويبحث عن شهقته فانه لا

لوحة للعزاوي.

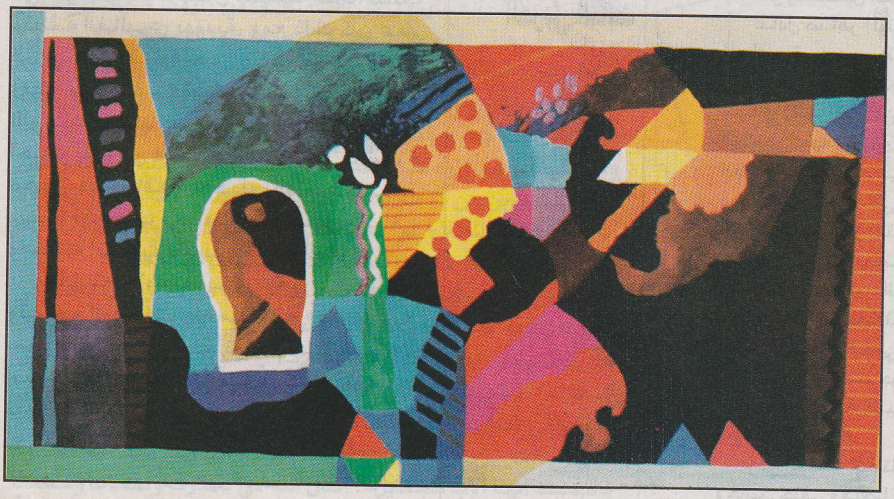

علاقات من الذاكرة

يغير حباً بالتغيير، بل للمساهمة في تطوير التجربة العربية. اذا كان الكلاسيكي وحده هو الفن فان هذا لن يتطور، فالكلاسيكي عملية ديكور هدفها المتعة البصرية. أرى اللوحة قصة أو قصيدة فيها محاولة للقول وتطوير حسّ المشاهد الى ما يتعدى الشكل البصري الجميل. بيكاسو من أهم الباحثين في الفن إذا انطلقنا من مدخل التغيير. كانت الانطباعية قبله تمثيلية فقال انه ليس من الضروري ان تمثل اللوحة ما حولها. يمكن مثلاً ان تكون تجريدية كالموسيقى. وما فعله من تركيبات هندسية ووحدات بصرية خارج المرئي موجود في الفن الاسلامي. بيكاسو حاول ايجاد بديل، وان قبول تجربته أو رفضها يعتمد على معرفة الشخص بتاريخ الفن وتجاربه. العربي يقابل ذلك بالرفض على اساس التعميم علماً ان التجارب الفنية كثيرة ومنها الرائع والفاشل».

اختيار الموروث والاتصال بالتراث مسألة شخصية: «اذا وضعنا نصاً لأدونيس قرب آخر لامرئ القيس تبدو المقارنة غير معقولة. وعندما يختار أدونيس مقتطفات من التراث يختلف عن شخص آخر لأنه أوسع ثقافة ولديه معرفة واسعة بالحضارة الأوروبية تمنح نظرته إنسانية وشمولاً من دون الوقوع في الإسقاط».

الحذر من الملصق

لا يحب المباشرة في الفن، والتزامه القضايا انساني لا دعائي: «عملت الكثير للقضية الفلسطينية من منطلق المأساة التي كوّنتها. ما حدث للفلسطينيين غير انساني، لكن طريقة التعبير هي المهمة لأن المباشرة ترتبط بتاريخ الحدث فتتحول اللوحة ملصقاً وتفقد قيمتها مع الوقت. اشتركت في معرض أقيم في فينشلي، لندن، بعد مجزرة صبرا وشاتيلا واستخدمت في اللوحات نصاً لجان جينيه عنها. كانت منطقة الغاليري يهودية، ومع ذلك كان عدد الناس الذين قرأوا النص مذهلاً، وعبّروا عن رفض مأساة حدثت لجماعة من البشر. اللوحات نفسها عرضت في كاليفورنيا، ولم احضر المعرض لأنني لم أحصل على تأشيرة دخول. قال ناقد: «الأعداء (الفلسطينيون) بيننا» لكن آخر تحدث عن «عمل ثقافي ومحاولة انسانية لتقريب وجهات النظر».

شاشتين، زوجته، سويدية درست الرسم وتصميم الواجهات، وله منها إبنة «عمرها أربع سنوات ونصف السنة. ترسم كثيراً ولا استطيع الآن معرفة ما اذا كانت تتمتع بموهبة أم لا. تالا غيرت أشياء كثيرة. لم أكن أعرف ان العلاقة بالأولاد تكون على هذا النحو». يبتسم، أرى في عينيه شيئاً أعرفه، وأفهم. ■

حركة الثقافة

٢٧٠٠ صورة تختصر وطناً: «اللبنانيون والحياة في لبنان من الاستقلال الى الحرب»

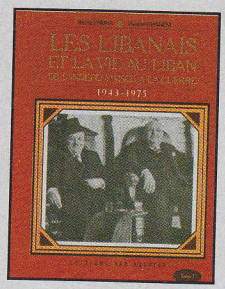

● صدر عن دار الصياد في بيروت كتاب «اللبنانيون والحياة في لبنان من الاستقلال الى الحرب، ١٩٤٣ – ١٩٧٥» من تأليف أسما فريحة وفيفيان غانم، وتقديم علياء الصلح.

يضم الكتاب حوالي ٢٧٠٠ صورة فوتوغرافية عن وجوه الحياة اللبنانية في المجالات التالية: عهد الانتداب – الاستقلال – الجيش – رؤساء الجمهورية ومجلس النواب والحكومة – العائلات السياسية – كواليس السياسة والزعامات – لبنان كملتقى للشرق والغرب – السلطة القضائية – الحياة في العاصمة – التلفزيون والمصارف والنقابات والاسواق والمرفأ والمطار والفنادق والكازينو والشواطئ والملاهي – نجوم الفن والأزياء والنشاطات المسرحية والموسيقية ووجوه الأدب والموسيقى والفن التشكيلي – العادات والتقاليد والمشاهد الريفية – جوانب من عمل الاطباء والمنظمات الصحية.

حوالى ٨٠٠ صفحة في مجلدين من المقياس الموسوعي تختصر الازدهار اللبناني الذي دام ٣٣ عاماً، وتقول مؤلفتا الكتاب أسما فريحة وفيفيان غانم ان الطبعة الفرنسية الصادرة ستتبعها قريباً طبعة عربية من الكتاب، وتعزوان البدء بالطبعة الفرنسية الى «ان هناك اجيالاً لبنانية مقيمة في الخارج لم تعرف من لبنان سوى وجهه القبيح، ذلك ان ابناء هذه الأجيال فتحوا عيونهم على أعمال العنف والدمار التي التهمت وطنهم، فظنوا خطأ ان لبنان هو الحرب وان وطنهم نموذج للعنف والتقاتل (...) ثم ان وضع الكتاب في لغة أجنبية، في طبعته الأولى، يهدف الى تصحيح الصورة التي كوّنها الناس في الغرب عن لبنان».

يذكر أن صور الكتاب أخذ أكثرها من أرشيف دار الصياد، وهناك صور بحثت عنها المؤلفتان في أرشيفات مؤسسات مختلفة وفي بيوتات لعبت دوراً في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية في لبنان.

ناصر الحميدي: حياة وأدب عبدالكريم الجهيمان

● عن دار الجسر في الرياض صدر كتاب ناصر الحميدي «رحلة أبي سهيل – قراءات في حياة وأدب عبدالكريم الجهيمان».

يجمع الكتاب شتات مؤلفات ومساهمات عبدالكريم الجهيمان (٨١ عاماً) في مجالات الصحافة وأدب الطفل والأمثال والمأثورات الشعبية وأدب الرحلات، ويعتبر الجهيمان (أو أبو سهيل كما يرغب أن يكنّى) احد الرواد السعوديين المهتمين في الامثال والمأثورات الشعبية.

مقدمة الكتاب كتبها فهد العريفي والغلاف والخطوط من عبدالله العتيق.

عمان: مستقبل العالم العربي في المؤتمر الفلسفي العربي الثالث

● على مدار ثلاثة أيام، ناقش مفكرون عرب (معنيون بالفلسفة) قضايا فكرية وفلسفية راهنة، في اطار المؤتمر الفلسفي العربي الثالث، الذي دعت اليه الجمعية الفلسفية العربية، وعقد في عمان.

شارك في المؤتمر، مفكرون من اقطار عربية (من داخل وخارج الاطار الاكاديمي)، وتركزت محاضراتهم حول المسائل الفلسفية ذات العلاقة المباشرة بحاضر ومستقبل العالم العربي.

عادل ضاهر (لبنان): تحدث حول اللامعقول في الحركات الاسلامية المعاصرة، حسن حنفي (مصر): حول الفكر العربي المعاصر بين الجمود والتجديد، سالم حميش (المغرب): الفكر العربي بين التمأزق والترقب، فاتن حمدي (العراق): عن تشتت الفكر العربي، صلاح قنصوه (مصر): عن دور العلم في بنية الثقافة العربية، الواقع والآفاق، سالم يفوت (المغرب): عن دور العلم والتكنولوجيا في تجديد المجتمع العربي، كامل عمران (سورية): عن دور العلم والثقافة في تنمية الذاتية العربية، طه عبدالرحمن (المغرب): تقويم التراث العربي بين النظرة التفاضلية والنظرة التكاملية، عبدالقادر بشته (تونس): موقفان لهما ثالث من العلم الطبيعي العربي الاسلامي، محمد المصباحي (المغرب): العقل والعلم والانسان – موقفنا وموقف التراث، محمد شيا (لبنان): العقلانية والحركة القومية العربية. سلامة كيله (سورية): ازمة الخطاب القومي العربي، أما ناصيف نصار (لبنان) وفيصل دراج (فلسطين) فتحدثا حول سقوط الايديولوجيات التقليدية، ، مروان القدومي (فلسطين): أزمة القيم في الوطن العربي. احمد ظاهر (الاردن): مقومات النهوض العربي.

وفي الجلسة الختامية من المؤتمر، تحدث ناصيف نصار، وسالم حميش وحسن حنفي وفيصل دراج وسلمان البدور مجتمعين في موضوع الفلسفة ومستقبل المجتمع العربي.